النموذج العاملي من منظور السيميائية السردية

مسعود مقروس
جامعة باجي مختار ـعنابةـالجزائر

ملخص

عملت السيميائية السردية على دراسة مختلف البنيات المشكلة للخطاب انطلاقا من البنية العميقة وبنية السطح المشكلتان للمستوى السيميوسردي وصولا للمستوى الخطابي وعلى مستوى السطح تم استبدال مفهوم الشخصية بمفهومين جديدين هما العامل والممثل بالإضافة إلى مجموعة من المقترحات النظرية البانية لهذه الطريقة من الدراسة.

فمن بين المفاهيم النظرية والأدوات الإجرائية التي استعانت بها السيميائية السردية لدخول فضاء المحكي الدلالي، نجد ما أصبح يعرف بالنموذج العاملي المعبر عن حالات خاصة حاملة لمعاني وممارسات مفترضة تتقدم لإنتاج خطاب خاص،

و ضمن هذا الإطار العام تتقدم هذه المقالة لتوضيح النموذج العاملي وكيفية تشكيل مختلف عناصره.

الكلمات المفاتيح: ممثل ، عامل ، شخصية، البنية العاملية ، المحكي...

Résumé

This study, entitled "The Actantiel Model", deals with an old and new subject that combines language with literature, and criticism from a point of view of narrative semiotics, according to the Paris school. This work tries to highlight the theoretical system and the characteristics of semiotics in the heritage of the school of Paris as a doctrine. By summarizing the works of Propp and Souriau, Greimas has classified the characters according to a model of actanciel whose sole concern is to build a model more economical than that of Propp. We shall see here how this actanciel model of Greimas is composed.

***Keywords**: Actant, character, story, actor.*

تمهيد:

يعد النموذج العاملي، كما هو متداول اليوم، أحد المقترحات النظرية الأساسية في المشروع الغريماسي وكان أول ظهور له في كتابه "علم الدلالة البنوي"، ولقد صيغ هذا النموذج بغية تحديد العوامل/ الوظائف وتدقيق مختلف العلاقات الموجودة والرابطة بين الكل ضمن النظام الواحد، كما يعمل على تجميع مختلف الأدوار- العوامل في المحكي، سنعمل من خلال هذا المقال على توضيح هذا المفهوم القاعدي في السيميائية السردية الباريسية، كما ظهر في بداياته عام (1966) ثم كيف تبلور وعلى ما استقر في نهاية تقعيده.

من السيميمات (Les Sémèmes) إلى العوامل :

يتناول غريماس (Greimas) في دراسته للبنية السيميو-سردية من المسار التوليدي طرفين اثنين، هما: المستوى العميق والمستوى السطحي، ومن خلال تحليل المكوّن السردي(للسطح) سيبرز على مستواه عدد من الكائنات الحيّة، أو غير الحيّة،التي ستحمل تدريجيا جملة من المقومات تسمى سيميمات"sémème" وهي وحدات دلالية تختلف في وظيفتها؛فيمكن أن ننظر إليها إما باعتبارها وحدات مضمرة" unités discrètes" منتظمة في صنف العوامل، وإما باعتبارها تابعة لها مدمجة فيها "intégrés" وتسمى مسندات"prédicat"، وهذه الأخيرة بدورها تنقسم إلى قسمين تابعين للثنائية (متحرك/ ثابت)فالمتحرك يحدد منه الوظائف"les fonctions" والثابت تحدد من خلاله الأوصاف"Les qualifications"، لكن الوحدات المضمرة تكسب معناها عبر علاقات بعضها ببعض على المحور التوزيعي" axe syntagmatique"،والدراسة المختصة بتحديد هذه العلاقات هي التي يطلق عليها الأنموذج العاملي[1].

وقد تم عرض هذا النموذج من منظور مزدوج في الوقت نفسه؛ من حيث هو نظام خاضع لعلاقات قارة بين العوامل يمكن وسمه بالبعد الأول للأنموذج لعام

1966، ومن حيث هو سيرورة؛ يتمظهر في جملة الحالات والتحولات التي تطبع الشخوص من خلال الأدوار والوظائف والأفعال التي تؤديها في إجراء التحويل، تلك الشخوص يسميها غريماس ممثلين"acteurs" إذ تسند إليها أدوار موضوعاتية"thématiques" وأخرى عاملية "actantiel"، لتصبح عوامل قائمة بذاتها،تشكل دائما ما أطلق عليه اسم النموذج العاملي وهذا ما يمكن وسمه بالبعد الثاني لأنموذج ما بعد 1966. وسنركز هنا على البعد الأول لهذه النظرة المزدوجة .

وعليه يندرج هذا التقديم النظري لـ"العامل actant"[2]ضمن السيميائيات السردية التي ترى فيه وحدة سردية تركيبية لا يمكن تصوره بدون ملفوظ سردي (énoncé narratif)، ولابمعزل عن تمركزه في إطار العلاقات التي تربطه بمفاهيم أخرى كالممثل والأدوار العاملية "rôles actantiels"[3]والأدوار الموضوعاتية[4].رغم أن هذه العملية ما هي إلاّ وسيلة إجرائية القصد منها الإمساك بالعامل من خلال الممثل الذي لا ينتج من التركيب بل من الدلالة سنعمل في هذه الصفحات توضيح ما المقصود بالعامل التركيبي ونترك جانبا إشكالية الممثل لفرصة أخرى .

منطلقات منهجية :

ينطلق غريماس في تأملاته حول النموذج العاملي من تحديده لمستويين للوصف؛ من خلال مناقشته لأعمال (ج.دوميزيل ـ Goerge Dumézil) الذي عرض وصفا للعالم الإلهي من خلال تحليل ممثليه واحدا واحدا بإتباعه الطريقة المزدوجة التالية:

1- يشكل اختيار إله معين، مدونة من الجمل يبدو من خلالها هذا الإله"عاملا"، وتم ذلك بمساعدة جميع النصوص المقدسة والأسطورية والفولكلورية...إلخ، وانطلاقا من إحصاء الرسائل الوظيفية والاختزالات المتتالية، متبوعة بإقرار رسمي سيسمح له كل ذلك بتشكيل ما يمكن أن نعينه كدائرة نشاط الإله.

2- بتشكيل مدونة موازية،تتضمن جلّ صفات هذا الإله، والتي تبرز من خلال ألقاب أو نعوت قوالب، وأسانيد داخل اعتقاد إيماني أو داخل مركبات قابلة للتوسيع حاوية على اعتبارات ذات ميزة طبولوجية.

سيسمح تحليل هذه المدونة من تشكيل "المظهر الأخلاقي" للإله، ثم يستنتج غريماسأن هذا العمل يجعلنا أمام تعريفين ممكنين للإله نفسه:

- التعريف الأول: إذا انطلقنا من مبدأ إمكانية التعرُّف على إله ما من خلال فعله،سيجعله ذلك كأحد عوامل الفضاء الإيديولوجي،إذا ما أخذنا بعين الاعتبار نشاطه الأساطيري.

- التعريف الثاني:يحدد الإله كأحد العوامل الذي عبره يتم وضع مفهوم يختص بـ"نظرية قيمية" جمعية.[5].

يلاحظ غريماس أنه لا يوجد تناقض بين التعريفين، بل يمكن اعتبارهما متكاملين ونتائجهما قابلة للتحويل من أحدهما إلى الآخر حيث يمكن للإله أن يتحرك وفق أخلاقياته الخاصة، وتصرفاته المتكررة المحكومة بالنموذجية، كما يمكنها أن تكون له متمِّمَة كصفة، ومن ثمة يميز غريماس بين مستويين للتحليل: الوظيفي(fonctionnelle) والوصفي (qualificative)، ذاهبا إلى أن الوصف لا يمكن أن يتم إلاّ بعد استخراج العوامل (المحتوى)؛ بمعنى وصف" العوالم الجزئية " التي توجد فيها العوامل وتتحرك.

و يستدعي إنجاز هذا التحليل بعض الفرضيات التي يتطلب تحقيقها الإجابة أولا عن نوعين من الأسئلة:

1- ما هي العلاقات المتبادلة، ونمط الوجود المشترك للعوامل داخل العوالم الجزئية؟

2- ماهو المعنى الغالب على النشاط الذي نعزوه للعامل؟ وفيم يكمن هذا"النشاط"؟وإذا كان تحويليا فما هو الإطار البنوي لهذه التحولات ؟[6].

ثم يحاول غريماس الإجابة عن السؤال الأول، وبهذا نلج الفرضية الأولى لوضع النموذج العاملي،الذي تم وسمه بـ "النموذج العاملي لـ1966" أو ما أصبح يعرف بالنموذج

العاملي في حالة ثبات، وقبل ذلك نحاول التعرف على المنابع التي استقى منها غريماس أفكاره المتعلقة بالنموذج العاملي.

1.منابع النموذج العاملي عند غريماس:

1.1.المنابع اللسانية للأنموذج العاملي :

انطلاقا من الإطار العام للأنموذج العاملي الذي جاء به اللساني (ل. تينيار. L. Tesnière)وفي أول ملاحظة عابرة وهي جدّ مهمة ومحفزة تجسدت في الاستعمال التشبيهي لما قابل الملفوظ الإبتدائي(énoncé élémentaire) بالعرض (spectacle) الذي لفت انتباه "غريماس"[7]، حيث" يعبّر المركب الفعلي عن مأساة صغيرة، وككل مأساة فإنّه يحتوي بالضرورة على حدث، وفي أغلب الأحيان على متخاطبين وظروف، وإذا نقلنا الحدث والمتخاطبين والظروف من صعيد الواقع المأساوي إلى التركيب البنوي، فإننا نحصل على الفعل والعوامل والظروف"[8].

وهكذا حاول(ل.تينيار) تجاوز مفهوم الجملة التقليدي المرتكز على المسند(prédicat)والمسند إليه(sujet) فبالنسبة إليه تتكون الجملة أساسا من "المسند" وهو عبارة عن فعل(verbe)في اللغات التي درسها، إلى جانب هذا المسند هناك مشاركون حوله، وقد أعطى اسم العامل (actant) لهؤلاء المشاركين[9]هكذا نجد العوامل عنده هي "الكائنات والأشياء التي تساهم في الحدث بأية صفة كانت وحتى بوصفها ممثلا صامتا ولو بشكل أكثر سلبية"[10].

وباستثمار كل هذا من وجهة نظر تركيبية يرى غريماس أن"البحث التركيبي الفرنسي في حالة ما إذا توفرت لديه الشجاعة لإسناد محتوى دلالي للعوامل(تينيار، ومارتينيA. Martinet.)فإنّه لا يقدم إلاّ حلا تجريبيا، في شكل جرد ذي ثلاثة عوامل، فاعل(agent) vs الخاضع (patient) vs مستفيد (bénéficiaire)[11]، وينظر غريماس إلى هذه الصياغة التركيبية بأنها عرجاء ويستبدلها بمقولتين عامليتين في الشكل التقابلي التالي:

الذات(sujet) vs الموضوع(objet).

مرسل(destinateur) vs مرسل إليه(destinataire)[12]

وبهذا تظهر الثنائيتان الأساسيتان في النموذج العاملي المقترح من طرف غريماس، الذي يرى أن" الوظائف(fonction)حسب التركيب التقليدي ماهي إلاّ أدوار تؤدى من طرف الكلمات"[13]وفي السياق نفسه وباستثمار التحديد الثلاثي لعوامل تينيار؛ ذلك الذي يقوم بالفعل يعني "الذّات"، والذي يتحمل الفعل أي "الموضوع" وأخيرا من يستفيد من الفعل أو من يضر به الفعل الذي يشار إليه بالعامل الثالث (tiers actant)[14].وهنا تستوقفنا ملاحظة جد هامة، وهي الطبيعة المزدوجة للعامل الثالث؛ حيث يمكن أن يتعلق الأمر بشخص أو بشيء يستفيد من الفعل تماما مثل شخص أو شيء يعاني من الفعل. ويجب التذكير هنا أن غريماس لم يأخذ آنذاك إلاّ بمفهوم المستفيد وتخلّى عن مفهوم الضحية(...)[15] كما لاحظ بعد ذلك أن المستفيد لا يفترض فاعلا (agent)،لكن محسنا(bien facteur) [16]وهو يسمى، هذا الزوج من العوامل "مرسلا ومرسلا" إليه إلى جانب الزوج الآخر"الذّات والموضوع"[17]، ثم نجد غريماس يؤكد على إمكانية تجميع عدّة عوامل في ممثل واحد[18]"ففي الملفوظ أعطت حواء آدم تفاحة" تمثل حواء في الآن نفسه "العامل-الذات" و"العامل -المرسل" [19]وبالإمكان أيضا توزيع العوامل في "أزواج من الممثلين كما في زوج وزوجة وأب وابن، الجدة والحفيد، توأم..."[20]والملاحظة التي تستوقفنا هنا هي التحديد الدقيق للفعل الذي يجمع المرسل والمرسل إليه في هذه المرحلة إذ يتعلق الأمر بإبلاغ موضوع ما على عكس الفعل الذي يجمع بين الذّات والموضوع[21].

وقد أدخل غريماس في المرحلة الثانية من تشكيل نموذج 1966، جردين آخرين من العوامل أولهما لـ (ف. بروب .proppv)المشكل من شخصيات الحكاية الشعبية الروسية، وثانيها(إ.سوريوE.Souriau) المشكل من خلال شخصيات المسرح.

2.1.المنابع الوظائفية للنموذج العاملي:

يؤكد غريماس على أن أخذه بهذه الفرضية[22]كان تحت تأثير أعمال (ف. بروب) في كتابه "مرفولوجيا الحكاية الشعبية الروسية"، أين يعرف الحكاية الشعبية" بنشر على الخط الزمني لوظائفها الواحد والثلاثين(...)"[23]، ثم يتعرض للعوامل وعرفت عندهأيضابالشخوص الدرامية. فتصوره "للعوامل وظيفي، حيث إنّ الشخصيات تعرفمن منظوره من خلال"دوائر الفعل"[24] التي تشارك فيها؛ وتتشكل هذه الدوائر من مركبات الوظائف المنسوبة إليها[25] وهنا تستوقفنا ملاحظة جد هامة في الاصطلاح الذي جاء به غريماس وهو اختفاء مصطلح الشخصية (personnage) الفضفاض بسيكولوجيا لحساب مصطلح الممثل، هؤلاء الممثلون يوزعون إلى مستويات من العوامل (المشخصة أو غير المشخصة)[26]ومن خلال هذا الإجراء المزدوج المتمثل في تشكيل الممثلين من خلال وصف وظائفهم واختزال مستوياتهم إلى عوامل للنوع، استطاع (ف.بروب) إيجاد جرد تعريفي للعوامل - الممثلين تجسد في:

1- المعتدي
2- الواهب
3- المساعد
4- الشخصية المبحوث عنها (ووالدها)
5- المرسل
6- البطل
7- البطل المزيف

و على أثر هذا الإجراء تم التحول الفعلي مِنْ، مَنْ يفعل الشيء، وكيف ولماذا ؟ إلى ماذا تفعل الشخصية - الوظيفة ـ ..."[27] ، وهكذا استطاع (بروب) من خلال هذا" الجرد إعطاء تعريف عاملي للحكاية الشعبية الروسية، فاعتبرها مَحْكيا (récit) ذا سبع (07)شخصيات".[28]

3.1.المنابع المسرحية للأنموذج العاملي:

يستهل غريماس حديثه حول أعمال المسرحي إ. سوريو (E.Souriau)من النقطة نفسها التي توقف عندها تحليل بروب وعليه تم إيجاد جردا ثانيا يماثل الأول إلى حدود بعيدة (...)[29]،فجوهر فكرة سوريو كما يراها غريماس تتمثل في عرض إمكانية "تجسيد التناول العاملي على صنف محدد من محكي (récit) المصنفات المسرحية ، بخلاف الحكاية الشعبية ويمكن مقارنة النتائج المتحصل عليها هذه المرة بالنتائج الأولى(...)[30] وهكذا عمل سوريو على" إحصاء الأدوار أو الوظائف التي تقوم بها الشخصيات، وبعد أن تردد قليلا في حصرها في ستة (06) أو سبعة (07) أدوار استقر في النهاية على ستة(06) وظائف"ليجعل منها منطلقا لاستحداث كل الحالات الدرامية الممكنة وهي:

1- الأسد(lion) القوة الموضوعية الموجهة.

2- الشمس(soleil) ممثل الخير المرغوب فيه والقيمة الموجهة.

3- الأرض(terre)ما يحصل على الخير؛ الغرض الذي يعمل من أجله الأسد.

4- المريخ(Mars) المعارض.

5- الميزان(balance) الحكم واهب الخير.

6- القمر(lune) المساعد(la rescousse) الذي يعزز إحدى القوى السابقة[31].

وبمقارنة النموذج ذي العناصر الأربعة (الذات، الموضوع ، المرسل ،المرسل إليه)مع هذين الجردين عمل غريماس قبل كل شيء على إعادة إظهار عاملين جديدين هما المساعد والمعارض، بعد أن أشار إليهما من قبل في شكل ملاحظة عابرة عبَّر من خلالها على إمكانية ظهور زوج من الظروف"مساعد" VS"معارض"، وهومستوحى على الخصوص من التحليل الضمني للحكاية الشعبية وسنكون أكثر رغبة في اعتباره كمُكَيِّفْ للإرادة[32].

فانطلاقة غريماس في تحديده لهذه المقولة العاملية تبدأ من دائرتين اثنتين للممارسة حيث يمكن التعرف وبكل سهولة على وجود وظيفتين متمايزتين بداخلهما:

1- البعض منها يتطلب جلب إعانة للتحريك في اتجاه الرغبة أو بتسهيل التبليغ.
2-الآخران يتطلبان خلق حواجز إمَّا بمعارضة علاقة الرغبة وإمّا بمعارضة تبليغ الموضوع.
ويمكن إسناد هاتين الحزمتين من الوظائف إلى عاملين متمايزين نحددهما تحت الاسمين التاليين:
المساعد (adjuvant) vs المعارض(opposant)[33]، هذا التمييز يتطابق كثيرا مع صياغة سوريو(Souriau) الذي أُسْتعير منه مصطلح معارض(opposant)، وتم تفضيل مصطلح مساعد(adjuvant) المدخل من طرف (غاي ميشو Guy. Michaud) على مصطلح مساعد(rescousse) لسوريو، أما بالنسبة لصياغة بروب نجد فيها المعارض(opposant) يسمى على نحو محقّر وشنيع، (traître :خائن)، بينماالمساعد(adjuvant) نجده يغطي شخصيتين: المساعد (helper) والمانح(donor)(provider)(...)[34] .

2. الأنموذج العاملي لعام 1966:

1.2.المقولة العاملية"الذات/ الموضوع":

يؤكد غريماس على أن تعريفي بروب ، وسوريو يثبتان تفسيره لنقطة جد مهمة وهي أنه يكفي عدد محدود من المصطلحات العاملية لتوضيح تنظيم العالم المصغر، وعلى عكس ذلك يوجه النقص إليهما وعدم كفايتهما من خلال الميزة المزدوجة؛ فهما في الوقت نفسه؛ يتميزان بشكلنة عالية جدا، وغير مكتملان شكليا بما فيه الكفاية مما أريد لهما: فتعريف نوع (genre)معين من خلال عنصر واحدمن العوامل، عبر تجريد لكل محتوي يعني أننا جعلنا التعريف في مستوي شكلي جد متسام. وتقديم العوامل في شكل جرد بسيط دون التساؤل حول العلاقات الممكنة بينهم يعني التخلي المسبق عن التحليل(...)[35].

وهكذا يرى غريماس ضرورة إظهار مقولة تخص جرد العوامل باستثمار ثلاثي الجرد الذي بحوزته؛ جرد بروب، وسوريو والجرد الذي أستخلصه غريماس بمراعاة

التدقيقات المتعلقة بالتوظيف التركيبي للخطاب وهو جرد أكثر محدودية لأنه يتشكل من مقولاتين عامليتين فقط.

تسمح لنا ملاحظة أولى من إيجاد والتعرّف على عاملين تركيبيين يكوّنان مقولة "الذات"و"الموضوع" وهما البطل وشخصية الأميرة عند الأول، والقوة الموضوعية الموجهة (الذات) وممثل الخير المرغوب للقيمة الموجهة (الموضوع) عند الثاني.ثم نجده يؤكد على أن العلاقة بين "الذّات" و" الموضوع" التي وَجَدت صعوبات جمة ولم ينجح غريماس تماما في تحديدها "قد ظهرت هنا مع توظيف دلالي متطابق في الجردين السابقين ـ بروب وسوريو ـ في علاقة الرغبة[36] وإذا كان الأمر على هذا المنوال يقرُّ غريماس أنه تم تعريف العالمين المصغرين المتجسدين في نوع "الحكايات الشعبية" ونوع " العرض الدرامي" من خلال مقولة عاملية أولى ممفصلة بحسب "الرغبة" وسيكون بمقدورهما إنتاج محكيات- متواترة أين تكون الرغبة متجلية في شكل استعمالي وأساطيري للتحري (quête)[37].

2.2. المقولة العاملية"مرسل/ مرسل إليه"

إن محاولة البحث عن ما يوافق هذه المقولة العاملية الثانية كما هي في نوايا (بروب) و(سوريو)، لا تستبعد بعض الصعوبات التي يمكن مصادفتها؛ من فعل تجلي التأليفية المتكررة للعوامل ـ الملاحظة من قبل على المستوى التركيبي ـ وهذه الملاحظة تجمع غالبا عاملين حاضرين تحت شكل ممثل واحد.

وباستثمار جردي بروب وسوريو يحاول غريماس استخراج مقولة المرسل/ المرسل إليه ؛ فيرى أن وصف سوريو لا يطرح صعوبات فمقولة مرسل / مرسل إليه معلمة بصراحة كمقابلة بين: "الحكم ، وواهب الخير/ متحصل فرضي على ذلك الخير".

أما بالنسبة للجرد الثاني الخاص ببروب، فيرى غريماس أن المرسل يتمفصل إلى ممثلين، حيث يكون الأول منهما متداخلا مع موضوع الرغبة بكل بساطة: (الشخصية المبحوث عنها وأبيها)، بينما يظهر الثاني داخل التواردات النصية، تحت اسم المرسل(- dispather

mandateur)، ويكون، متجسدافي الأب مرة والملك مرة أخرى يمتزجان في ممثل واحد أو لا يمتزجان ـ والذي يكلّف البطل بمهمة ما.

أما إذا عدنا إلى المرسل إليه، ومن خلال الحكاية الشعبية الروسية سيظهر أن حقل نشاطه يندمج بكامله مع حقل الذات-البطل. هنا يمكن طرح تساؤل نظري يخص هذه المسألة، ويكمن في معرفة ما إذا كانت اندماجات من هذا القبيل يمكن اعتبارها خصائص ملائمة لمختلف التقسيمات لنوع (genre)ما إلى أنواع- فرعية.

هكذا نرى أن المقولتين العامليتين تظهران لحد الآن مؤسستين لنموذج بسيط يتمحور بكامله حول الموضوع الذي يكون في حد ذاته موضوع رغبة وموضوع اتصال في الوقت نفسه[38].

3.2. المقولة العاملية " المساعد/ المعارض".

سيكون من الصعب جدا علينا التأكد من التمفصل المقولاتي لبقية العوامل، وما كان هذا الأمر إلاّ لأن النموذج التركيبي يوقعنا في الخطأ، فانطلاقة غريماس في تحديده لهذه المقولة العاملية تبدأ من اعترافه بوجود دائرتين اثنتين للممارسة حيث يمكن التعرف وبكل سهولة على وجود وظيفتين متمايزتين بداخلهما:

1- البعض منها يتطلب جلب إعانة للتحريك في اتجاه الرغبة أو بتسهيل التبليغ.

2-الآخران يتطلبان خلق حواجز من خلال معارضة علاقة الرغبة وإمّا بمعارضة تبليغ الموضوع.

ويمكن إسناد هاتين الحزمتين من الوظائف إلى عاملين متمايزين نحددهما تحت الاسمين التاليين:

المساعد (adjuvant) vs المعارض(opposant)[39].

هذا التمييز يتطابق كثيرا مع صياغة سوريو(Souriau) الذي أُسْتعير منه مصطلح معارض(opposant)، وتم تفضيل مصطلح مساعد(adjuvant) المدخل من طرف (

غاي ميشو Guy. Michaud) على مصطلح مساعد(rescousse) لسوريو. أما بالنسبة لصياغة بروب نجد فيها المعارض(opposant) يسمى على نحو محقّر وشنيع، (traître :خائن)، بينما المساعد(adjuvant) نجده يغطي شخصيتين: المساعد (helper) والمانح(donor)(provider)و هذه المرونة في التحليل يمكن أن تفاجئ البعض من وهلة أولى.

يجب أن لا ننسى أن فكرة العوامل أسست من طرف بروب، دون أن ننسى سوريو، وذلك من خلال دوائر الفعل أي من خلال اختزال الوظائف وحدها، دون الأخذ بعين الاعتبار الجزاء الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه. وليس المقصود هنا نقد بروب الذي يرجع له الفضلالكبير في البادرة، لكن لتسجيل النتائج المتحصل عليها خلال الثلاثين سنة الأخيرة لتلك الممارسات التي شاعت من تعميم الطرائق البنائية، كما يجب الأخذ بالحسبان أنه يمكن تسهل عملية الاستكشاف والتحري عندما يكون بحوزتنا صنفان قابلان للمقارنة عكس ما هو في حالة صنف واحد.

يمكننا التساؤل على ماذا تحيل هذه المقابلة بين المعارض والمساعد داخل الفضاء الأسطوري؟ الذي أراد غريماس توضيح بنيته العاملية، من الوهلة الأولى وإلى جانب المهتمين الأساسيين، يجري كل شيء كأنه يتراءى الآن، كعوامل موضَّحَة في ترسيمة وهي تمثل، قوى محسنة وقوى مسيئة للعالم ، داخلمشهد مسقط على شاشة من القيم، كتجسيدات الملاك الحارس والشيطان، لمأساة مسيحي العصور الوسطى.

وما يلفت الانتباه أيضا هي الميزة الثانوية لهذين العاملين الأخيرين اللذين يرتبطان بالظروف التي يقع فيها الفعل حيث تكون هناك إرادة الاعتراض على الفعل وإرادة الموافقة عليه ودعمه، ففي التجلي الأسطوري الذي يشغل غريماس، يفهم جيدا أن المساعد والمعارض لن يكونا سوى إسقاطات لإرادة الفعل (Agir)ومقاومة خيالية للذات نفسها وعليه يتم الحكم عليها إذن كمحسنة أو مسيئة ارتباطا برغبة هذه الذات .

وأخيرا يمكن القول بأن هذا التفسير يحاول توضيح وإظهار على مستوى الجردين الظروف(circonstants)كما يعمل على إظهار وضعهم التركيبي ووضعهم الدلالي في الوقت نفسه[40] ، هذا إلى جانب العوامل الحقيقية.

4.2.الصيغة النهائية للنموذج العاملي لعام1966.

يظهر هذا النموذج المشكل والمستقرأ من خلال الجردين المشبوهين واللذين لا يمكن الاعتماد عليهما الاعتماد المطلق ومع الأخذ بعين الاعتبار البنية التركيبية للغات الطبيعية، أنه حائز على بعض القيم الإجرائية لتحليل التجليات الأسطورية فقط هذا بناءً على بساطته، وتكمن بساطته في أنه يتمحور في كليته حول موضوع الرغبة المستهدف من طرف الذات (sujet)و يتموضع بين المرسل والمرسل إليه إذا أخذناه كموضوع تبليغ ، ومن جهة أخرى أصبحت رغبة الذات من جهتها معدلة في انعكاس المساعد والمعارض على الترسيمة، التي سوف تأخذ الشكل التالي[41]:

مرسل ← موضوع → مرسل إليه

معارض ← الـذات → مساعد

3. الأنموذج العاملي ما بعد 1966 :

1.3."الذّات / الموضوع":

بعد وضع الفرضيات الأولى للنموذج العاملي وصياغته في ترسيمة مقننة تجلت في الشكل التالي:

مرسل (مر1) ← موضوع (م) ← مرسل إليه(مر2)

معارض (مع) ← الذات(ذ) → مساعد (مس)

أصبح بالإمكان قراءتها على النحو الآتي:

توجد قوة (أو كائن(مر1)) تريد الحصول على شيء ما، فترسل رسالة إلى قوة أخر (مر2) تطلب منها قبول مهمة إحضار ذلك الشيء (الموضوع)،إلى جوار وجود ذات (ذ) تبحث عن موضوع (م)،و قد تنجز فعلها لمصلحة كائن (مر2) الذي قد يتطابق ويندمج في (مر2) (ضمني أو متجلي) ، وأثناء هذا البحث تملك الذات مؤيدين (مس) ومعارضين (مع)[42] ، هكذا تجلت عناصر النموذج العاملي لعام 1966 ، لكن أحد هذه العناصر خضع لاحقا لتدبير خاص ومهمّ ؛ فلقد أخذ " الموضوع"(objet) الذي ترغب فيه الذات (sujet) اسما جديدا فأصبح " موضوع قيمة "(objet de valeur)، لا يمكن التعرف على الموضوع التركيبي الذي ما هو إلاّ مشروع مستقبلي للذات، إلاّ من خلال قيمة (valeur) أو عدة قيم دلالية مبثوتة فيه تسمح له بالتجلي، فالتعرف على القيمة يسمح إذن بافتراض الموضوع على اعتباره مكانا تركيبيا لتجليه"[43].

هكذا يتحول الموضوع إلى مكان تركيبي يوظف من خلال قيمة معينة تضفي عليه صورة يمتزج فيها مفهوم الموضوع بمفهوم القيمة أي " الشكل الصوري للموضوع يكفل واقعيته والقيمة تكشف عن هويتها مع الموضوع المرغوب؛ فعندما يمتلك شخص سيارة في مجتمعنا اليوم فإنه لا يملكها لذاتها بل لتسخيرها بغرض التنقل السريع وهي وسيلة تتقدم بديلا للبساط الطائر، فهو يشتري في الأغلب شيئا من الحظوة الاجتماعية أو الإحساس الحميمي بالقوة وبالتالي فإن الموضوع المستهدف ليس في الواقع إلاّ ذريعة ومكانا توظف فيه القيم ويفضي إلى توسيط العلاقة بين الذات ونفسها"[44] ، وهكذا يكون موضوع القيمة مكانا تركيبيا مستهدفا من طرف ذات راغبة فيه فالعلاقة بين الذات والموضوع هي علاقة موجهة تنطلق من الذات نحو الموضوع فاسحة المجال أيضا لوجود مواضيع لا قيمة لها لدى الذات، فتترك الذات حيادية (متعالية) في حالة عدم اكتراث إلى جانب الموضوع (الموضوعات) الرئيسي ذي القيمة العظمى وبهذا تظهر تلك المعارضة بين القيمة الإيجابية والقيمة السلبية وقد ظهرت هاتان العبارتان فعلا لدى غريماس لكن بمعنى آخر مغاير أي أن القيمة الإيجابية تعني "مؤشَّرة بقيمة" وقيمة سلبية تعني"بدون قيمة" وفي نظرية موسعة للقيمة صار"سلبي" يعادل على الأرجح هداما (destructif) مقابل لـ"إيجابي" الذي يعادل بناءً (constructif)، فما هو بنَّاء من نتائجه تشكيل "كل" (

un tout)، وما هو هدام من نتائجه تبديد لـ " كيان" (un tout)[45] ، ويضرب غريماس مثالا على القيمة السلبية بالحكايات التي تتحول فيها الكنوز إلى روث حصان[46].

وإلى جانب موضوع القيمة نجد موضوعا آخر هو موضوع الكيفية (objet modal) الذي "يكشف عن آليات الكفاءة وأثرها في تحديد المسار الذي يأخذه فعل الذات المقترن بحقل حدثي معين ولا يخلو كذلك هذا الموضوع من فكرة الإيجابية والسلبية حيث يتجسد الإيجابي في الأداء الجيد والنجاح للذات الفاعلة(sujet opérateur) بينما يبرز السلبي عبر فشل الأداء[47]. وعند حديث غريماس عن العامل / الموضوع نجده يميز "بين نوعين من الموضوعات؛ يعني تلك التي تتقلد" قيما موضوعية" (objectives) وتلك التي تتقلد" قيما ذاتية"(subjectives) فرغم العجز الاصطلاحي الواضح فالتمييز يستند إلى مقياس بنوي، هو مقياس بحسب صيغة توزيعها، الذي يتم في الحالة الأولى حسب صيغة الملكية (avoir)وفي الحالة الثانية حسب صيغة الكينونة (être) [48] وإلى جانب هذا المقياس البنوي يضيف غريماس مقياسا آخر في تمييزه للعامل الموضوع وهو " تجليه في الممثلين ضمن الخطاب": أي تكون الموضوعات ذات القيم الموضوعية حاضرة في الخطاب تحت شكل ممثلين أفرادا (مشخصين) ومستقلين (غداء أو أطفال في حكاية الخنصر)، وتكون الموضوعات ذات القيم الذاتية متجلية في ممثلين ويحضرون بصفة متلازمة في ذوات(sujets) وموضوعات (objets) في الوقت نفسه (الخنصر كممثل وذات - بطلة وموضوع استهلاك للغول في الوقت نفسه ومُمَوِّن في النهاية لجميع أفراد عائلته(...)"[49] وفي نفس التوجه -أي تطوير المفاهيم الإجرائية والمحافظة على أهم المكتسبات التحليلية- استمرت العلاقة بين الذات والموضوع باعتبارها بؤرة النموذج العاملي ومحمّلة بشحنة دلالية كامنة في الرغبة حيث تجسد الذات الفاعلة (sujet opérateur) من هذه الرغبة، العامل الراغب الفعال، بينما يبدو الموضوع (موضوع - الرغبة) عاملا سلبيا غير فعال ويطلق عليه غريماس مصطلح "ملفوظ الحالة (énoncé d'etat)"[50] ، ولا تخلو علاقة الحالة (relation d'état) بين العاملين من أحد الاحتمالين ، فإما أن تقوم على الاتصال (∧) وإما على الانفصال (∨) ، ولا يعني الانفصال انقطاع الصلة بين الذات والموضوع

واستقلال أحدهما عن الآخر، فإن كان ذلك واقعا انتهت الصلة بينهما ولم يعد لوجودهما مبررا وتراجعا إلى الوضعية الأولى ، ففي حالة الانفصال يظل حضورهما قائما بالقوة ويظل الأول ينزع إلى الثاني ساعيا إلى الاتصال به وضمه إليه[51]، وهكذا يلاحظ تفرع العامل الذات في النظرية السيميائية إلى ذاتين تقوم بينهما فروق جوهرية تنضوي الذات الأولى (ذات الحالة) (sujetd'état) تحت علاقة الصلة(conjonction) (فصلة أو وصلة)(conjonctiondisjonction/) التي تربطه بموضوع القيمة، أما الذات الثانية التي تتجلى من خلال علاقة التحويل فإنها تحيل على كيان دينامي،فهي قادرة لا على امتلاك المؤهلات فحسب، بل على ممارسة الأفعال إنها ذات الفعل (sujet de faire).

2.3."المرسل/ المرسل إليه":

باعتبار عوامل السرد، فإن المرسل والمرسل إليه من الهيئات العاملية المميزة بالعلاقة الافتراضية الأحادية الجانب (بين المرسل مصطلح متضمِّن والمرسل إليه مصطلح متضمَّن): أي ما يجعل التواصل بينهما غير متماثل؛ فاستبداليا نجد المرسل في علاقة"Hypotaxique"(موجهة من الكل إلى الجزء) بالنسبة إلى المرسل إليه، وهذا الأخير في علاقة عكسية أي"hyponymique "(من الجزء إلى الكل) مع المرسل، ويزداد هذا اللاتماثل أثناء وضع هذين العاملين في تركيب(syntagmation) ؛ عند بروزهما كنواة مهتمة بموضوع واحد[52]فالمرسل والمرسل إليه يشكلان الزوج الثاني الذي يدخل في تركيب النموذج العاملي ويوحي حضور هذه الثنائية في الخطاب السردي بوجود عالم مؤسس على منظومة من القيم (نظام خلاقي)(système axiologique) يحكم بمقتضاه على الأفعال سلبا أو إيجابا فتحل في مرتبة المحرم أو المباح أو الواجب(...) والوظيفة الموكلة إلى المرسل تتمثل في المحافظة على هذه القيم وصيانتها وضمان استمرارها وذلك بتبليغها إلى المرسل إليه -الذات (destinataire-sujet) أو إملائها عليه. هكذا يستوي المرسل والمرسل إليه في "سلم تراتبي" يتبوأ فيه المرسل مركزا فوقيا وتكون علاقته بالمرسل إليه - الذات قائمة على تبعية هذا إليه[53] أي حسب مصطلحية غريماسوفق العلاقة(hypéronumique) أو(hyponymique) الموجودة بينهما. ويزيد غريماس في ضبط

موقع المرسل والمرسل إليه في نموذجه العاملي ووظيفتهما حيث يمكن اعتبار المرسل ذاتا حقيقية متعالية باعتبار خصوصيتهما كمالكة للقيم المتعالية، إذ يمكن تصور تواصلها مع المرسل إليه الذي يعمل لحسابه الخاص في العالم المحايث، بنوعية نتاج ذوات (sujets) محايثة ومفترضة على الأقل في حالتهم الأولى الأصلية، فاعتبارهم ذوات يمكن وضعهم في عملية التبليغ.

و يمكن وصف هيأتهم تحت شكل ملفوظات قانونية[54] وبهذا غالبا ما يعرض المرسل منتميا للفضاء المفارق (tranxendant) ومرسلاللمرسل إليه ـ الذّات (مأخوذة من الفضاء المحايث(immanent)) ليس فقط عناصر الكفاءة الصيغية لكن مجموع القيم الداخلة في الرهان؛ وهو أيضا الذي توجه إليه نتيجة أداء (performance)المرسل إليه ـ الذات والذي ترجع إليه عملية التقييم ، وهكذا من وجهة النظر هذه يمكن إقامة معارضة بين المرسل المحرك (الأولي) والمرسل المقوم (النهائي)[55] ، فالمرسل يظهر على الترسيمة السردية في البداية أي أثناء عملية التحريك ليعود من جديد في المرحلة الأخيرة من الترسيمة أي في مرحلة التقييم ، وهكذا يمكن القول بأن المرسل الأولي (destinateur unitial) منبع كل القيم وبالخصوص القيم الصيغية القادرة على تأشير المرسل إليه- الذات بالكفاءة اللازمة لإنجازه، أما المرسل النهائي(destinateur final) الذي يمثل حَكَمالأداء الذات ، أين يحول "الفعل" (lefaire) إلى كينونة (être) معروفة ومحترمة ومستقبلة من بين كل القيم التي كان بإمكان الذات التخلي عنها مع إمكانية وجود هذين المرسلين في تآلفية ضمن خطابات عديدة (...) ويمكنه أن يعطي وجود سيميائية التحريك وسيميائية التقييم[56] ،وهكذا يتجلى المرسل الأولي في مرحلة التعاقد والتحريك والمرسل النهائي يتجسد في التقييم ، مع ملاحظة أن إدماج الزوج مرسل/ مرسل إليه في النموذج العاملي لا يتم إلاّ من خلال الموضوع(objet) هذا الأخير الذي يأخذ مكانه على محور الرغبة ـ والذي يحيل في جزئية الكيفيات عن كيفية الفعل ـ (علاقة الذات / الموضوع) ولكن يسجل في الوقت نفسه على محور التواصل ـ كما يعبر في الكيفيات أيضا عن كيفية المعرفة ـ ؛ فمن الواضح بأن الأفعال التي ينخرط فيها المرسل والمرسل إليه -

الذات تتمحور حول إبلاغ موضوع سواء تعلق الأمر برسالة الانتداب (mandat) أي الإفصاح عن موضوع من طرف المرسل للمرسل إليه ليقوم هذا الأخير بمهمة التحري ، وقد يتجسد هذا الموضوع في شخصية مرغوب فيها أو منفعة ما.

وإلى جانب هذا نلاحظ أن أفعال المعارض والمساعد تتعلق بخلق عراقيل أو جلب مساعدة ـ هذا ما جاء في النموذج العاملي لـ1966 ـ لكن سرعان ما أدمج هذان الفعلان بالتواصل، وبذلك يصف المؤلف العناصر الأولى لـ"تركيب مكاني للقيم (syntaxetopologique des valeurs) تهم التحويل وحركة (circulation) القيم بين أي ذات من الذوات[57].وهنا تستوقفنا ملاحظة جد هامة وهي استعمال المرسل والمرسل إليه عند غريماس لتعيين بعض الذوات حسب الأفعال التي تقوم بها؛ فالمرسل يبث موضوعا باتجاه مرسل إليه، ومن جهة أخرى يقوم المرسل إليه بالتقاط الموضوع الذي يبثه المرسل هذا بالنسبة لنموذج 1966 ويستمر غريماس في التوجه نفسه في نموذج ما بعد 1966 حيث "تبلغ المرسل إليه - الذات باعتبارها مرسل المعرفة(le savoir) المتعلقة بإنجازاتها الذاتية ويستقبل المرسل ذلك ليقوم بعملية التقييم الإيجابي أو السلبي. وسيكون في بعض الأحيان من الضروري تمييز في تحليل المحكي (récit) المرسل الفردي كما يتجلى في حالة التأثر الذي يعارض المرسل الاجتماعي المدعو إلى إحقاق العدالة[58]من المرسل الذي يحيل على الذات المرتبطة بالمرسل بحكم العقد ويتمثل في المرسل إليه (وعلى وجه الاتساع يطلق المصطلح على طالب الحاجة) والمرسل إليه الذي يخصّ المستفيد بالأمر مهما تكن هويته إذ يتفق أن يكون هو المرسل أو الذات أو كائنا فرديا أو جماعيا آخر[59].

وإلى جانب كل هذا نلاحظ ظهور المرسل والمرسل-المضاد، اللّذين ولّدتهما قاعدة الضديـة (contraires)حيث يكونا في العلاقة نفسها مرسلا فعالا (destinateur actif)ومرسلا سلبيا(destinateur passif) ، إذ يدل المرسل الفعال على الشروع وهو الباعث على الحركة والفعل (فهو يحيل على التحريك) ،أما المرسل السلبي فهو نهائي إذ يجني الثمار (في إطار التقييم) مع العلم أن التقييم قد يكون سلبيا كما يمكن أن يكون إيجابيا[60].

3.3. "المساعد/المعارض":

إن الأدوار العاملية التي تحدد كفاءة الذات (sujet)يمكنها أن تتجلى سواء من خلال الممثل نفسه الذي هو الذات في حد ذاتها أو من خلال ممثلين منفصلين عنها، ففي الحالة الأخيرة تتم تسميته الممثل المشخّص ضمن وضعيته كمعين (auscilliant) وذلك تبعا لتطابقه مع الإشارتين ، الإيجابية والسلبية فهو تارة مساعد وتارة أخرى معارض[61] ، هكذا يحيل المساعد ـ في القاموس المعقلن على المعين(auscillian)الموجب، عندما يضطلع بهذا الدور ممثل آخر يختلف عن ذات الفعل (sujet de faire)؛ بمعنى يناسب المساعد" قدرة ـ الفعل"(pouvoir- faire)المشخص. وهو بمثابة الممثل الذي يقدم مساعدة لتحقيق البرنامج السردي الخاص بالذّات [62].

ونعثر على المعارض عندما يأخذ ممثل مختلف عن ذات الفعل على عاتقه دور المعين(rôle d'auscilliant) السلبي (...) ويناسب إذن، من وجهة نظر ذات –الفعل:لا-قدرة-الفعل(non-pouvoir-faire)المشخص ، وهو بمثابة الممثل المستقل الذي يعترض تحقيق البرنامج السردي المستهدف[63].

فالملاحظة البارزة على هذه التحديدات هي ارتباطها الضمني بالقوة الخيّرة والشّريرة للعالم ، هذه الملاحظة التي كانت منبع ظهور هذين العاملين "وبالفعل فتمييز الحسن والسيئ ليس إلاّ طريقة أخرى لتمييز القيمة الإيجابية والقيمة السلبية، أو القيمة البناءة والقيمة الهدّامة ، فالمساعد صار " القدرة على الفعل " ويستمر إذا في تمثيل القيمة الإيجابيّة للذات ، بينما أصبح المعارض " اللا-قدرة –على الفعل" (non-pouvoir-faire) وبهذا ينتقل من القيمة السلبية (أو الهدامة) لـ1966 إلى القيمة اللاإيجابية(non positive)، وعوضت إذن الذات - المضادة(anti-sujet) المعارضة ككائن ذي قيمة سلبية للذّات[64] .

وهكذا نلاحظ الحضور البارز لمفهوم القيمة في العوامل الغريماسية،ومن هذا الباب نقف أمام ذلك الارتباط بين موضوع الرغبة ذي القيمة الموجبة للذات ظاهريا على الأقل، والمساعد الذي هو أيضا كائن ذو قيمة موجبة.

يجب التمييز بين قيمة "موضوع الرغبة"(objet de valeur) وقيمة المساعد (adjuvant)، لهذا يستدعي ر.غودرو(R.Gaudreault)ذلك التمييز بين القيمة الأولية(initiale)والقيمة النهائية(finale)ليمكن تعريف المساعد بأنه كائن مؤشّر بقيمة إيجابية أولية وموضوع الرغبة بأنه كائن مؤشّر بقيمة موجبة نهائية هكذا يمكن اختزال كل محكي في ترسيمة قاعدية مقننة وهي الترسيمة العاملية، التي يمكنها إبراز القوى الأساسية للدراما(drame) والدور الذي يؤديه العامل في الحدث (action)، مع الإشارة إلى أن غريماس قد تراجع عن هذه الترسيمة وبخاصة حول مفهومي المساعد والمعارض ويؤكد هذه المقولة أحد المقربين من غريماس، وهو "ج.ك.كوكي(J.C.coquet) ـ حيث يلاحظ أن عاملين من نموذج1966 أقصيا نهائيا ؛ وبالفعل فلا أثر البتة للمساعد والمعارض في مدخل "عامل"في القاموس المعقلن لغريماس وكورتاس (Courtès).

بعد أن قمنا بتقديم الجانب النظري الخاص بالنموذج العاملي وهو في حالة ثبات سنأتي الآن على تطبيق تلك الآراء النظرية على قصة "النَّاسك والضَّيف" وهي قصة موجودة ضمن "كتاب كليلة ودمنة".

ملاحظة: لن نتكلم على القصة الإطار أو ما يدور من حديث بين الفيلسوف والملك، وإنما سنقتصر على القصة التي تأتي بعد الفاتحة "زعموا..."

تقديم القصة:(65)

هي قصة يضرب بها المثل للذي يترك عمله الذي يليق به ويشاكله، ويطلب غيره فلا يدركه: فيبقى حيران مترددا؛ هذه قصة جاءت على لسان "بيدبا الفيلسوف" وتدور أحداثها حول ناسك عابد نزل به ضيف يوما، فأكرمه بتمر، فاستحسن الضيف ذلك التمر وتمنى لو كان في بلاده مثله، فطلب من الناسك أن يساعده على ذلك.

فأجابه الناسك بالرفض وقال له: إنه لا يعد حكيما من طلب ما لا يجده، وكان الناسك يتكلم بالعبرانية فأعجب الضيف بهذا اللسان فأراد أن يتعلمه فاستهجن الناسك هذا الأمر من الضيف مرة أخرى، وقصَّ عليه قصة الغراب الذي أعجبته مشية الحجلة فأراد

أن يتعلم مشيتها ولكنه لم يوفق في إحكام ذلك الفعل فأراد أن يعود إلى مشيته التي كان عليها، فاختلط عليه الأمر بين مشيته الأصل ومشية الحجلة، فصار أقبح الطير مشيا.

تقطيع المحكي:

وبعد هذا التقديم العام للقصة سنعمل على تقطيع المحكي إلى مقاطع بحسب مصوغ "الموضوع المعالج في كل مقطوعة " وهكذا نلاحظ إمكانية تقطيع المحكي إلى مقطوعتين:

المقطوعة الأولى: تبدأ من "زعموا أنه كان بأرض الكرخ ناسك ..."حتى "...وإنك سعيد الجد إذا أقنعت بالذي تجد، وزهدت بما لا تجده..."[66]ويمكن عنونتها بـ: "طلب ما يمكن أن يكون مستحيلا" والموضوع المعالج هنا هو طلب الحصول على التمر.

في هذه المقطوعة نجد قصة الضيف الذي أعجبه التمر فأراد زرعه في بلاده، فما كان من الناسك إلا إخباره بإمكانية استحالة هذا الأمر فلعل ذلك النوع من الشجر لا يوافق أرضهم.

المقطوعة الثانية: تبدأ من "...وكان هذا الناسك يتكلم بالعبرانية..." حتى نهاية المحكي[67]، يمكن عنونتها بـ: "رغبة التعلم"

وهي مقطوعة تروي قصة ذلك الضيف الذي أراد أن يتعلم اللسان العبراني، فلم يجد إلى ذلك سبيلا، كما استهجن الناسك عليه ذلك الأمر فخاف على ضيفه من تركه لسانه الذي طبع عليه، وإقباله على لسان آخر لا يشاكله فقد ينسى لسانه ويرجع إلى أهله وهو شرّهم لسانا والموضوع المعالج هنا هو طلب تعلم اللسان العبراني.

كما اشتملت هذه المقطوعة على محكي متضمن وهو يروي قصة الغراب الذي أراد أن يتعلم مشية الحجلة فأخفق في ذلك، ولما أراد العودة إلى مشيته نسيها فأصبح أقبح الطير مشيا. ويمكن عنونة هذا المقطع المتضمن "بقصة الغراب والحجلة".

تحليل المحكي:

المقطوعة الأولى:

إن المحكي (lerècit) يجسد سلسلة من الأحداث (èvènements) حسب تسلسل زمني معين، يخضع له الخطاب المقدم، وكل فعل يولّد فعل آخر، فالأفعال تتناسل من بعضها البعض، كما أن الحدث داخل المحكي يتموضع بين مرحلتين متتاليتين مختلفتين، فينعدم الثبات والاستقرار فينجر عنه ظهور مرحلة التغير والتحول وبذلك نحصل على برنامج سردي معين لذات معينة؛ فوضع الابتداء نجده يرسم نوعا من الاستقرار والأمن لتأتي بعد ذلك مرحلة الإضراب والتغير حيث كان الناسك يعيش حياة الاستقرار والطمأنينة في بيته"زعموا أنه كان بأرض الكرخ ناسك عابد مجتهد"[68]، وإذا بضيف يأتي إليه"فنزل به ضيف ذات يوم"[69]، وإلى حد هنا تكون الأمور عادية ثم يأتي فعل الخرق لما هو سائد؛ عندما يأكل الضيف التمر ويعجب به ويريد أن يزرع هذا الثمار في بلاده"ثم قال الضيف: ما أحلى هذا التمر وأطيبه؟... "[70]، وبهذا تظهر لنا علاقة رغبة بين الذات (الضيف) والموضوع (التمر)، وكانت هذه العلاقة نتيجة ومحصلة لفعل المرسل (شهوة الأكل) إلى المرسل إليه (الضيف) بأن بث إليه رسالة حاول من خلالها إقناعه بضرورة الحصول على التمر، وقد قبل العرض ضمنيا وتجسد في المحكي من خلال سؤال الضيف على إمكانية غرس هذا التمر في بلاده " ثم قال: أرى أن تساعدني على أن أخذ منه ما أغرسه في أرضنا..."[71] وعندها يتحول العامل-المرسل إليه(الضيف) إلى عامل- الذات، وقد وقفت عوائق عديدة في مواجهة هذا الأمر منها: جهل الضيف بثمار أرض الناسك، وجهله أيضا بمواضعها"...فإني لست عارفا بثمار أرضكم، هذه ولا بموضعها.."[72]، وقد لا توافق أرض الضيف هذا النوع من الثمار"...و لعل ذلك لا يوافق أرضكم"[73]. وهنا لا نعثر على العامل- المساعد الذي من المفروض أن يقدم يد المساعدة للذات في بحثها عن موضوع القيمة المرغوب فيه.

ويمكن أن نجمع كل هذه المعلومات من خلال رسم النموذج العاملي التالي:

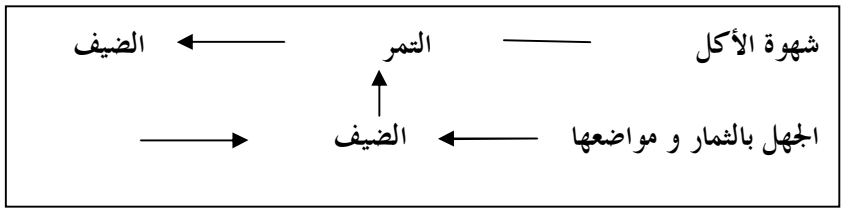

الترسيمة العاملية لمقطوعة" طلب ما يمكن أن يكون مستحيلا ".

إذا انتقلنا إلى المقطوعة الثانية التي يمكن عنونتها بـ "تعلم ما لا يقدر عليه" وتدور أحداث هذا المقطوعة حول إرادة تعلم لسان غريب يصعب تعلمه قد يؤدي بصاحبه إلى فقدان لسانه الأصل، وهذا ما يوافق أيضا المحكي المتضمن الذي يروي قصة الغراب مع مشية الحجلة.

حيث تبرز علاقة رغبة بين العامل-الذات (الضيف) والعامل – الموضوع(اللسان العبراني) على إثر سماع الضيف للسان العبراني، ولقد أوجد هذه الرغبة في تعلم اللسان الجديد ذلك الفعل الذي قام به العامل-المرسل(حب تعلم العبرانية) الذي أرسل رسالة إلى العامل-المرسل إليه (الضيف) وأقنعه بضرورة تعلم هذا اللسان، وحتى يتم ذلك وجدت معيقات وقفت تعارض إتمام هذا الفعل (العامل المعيق) ؛ وتجسد ذلك في المحكي من خلال عدم التوفيق في تعلم العبرانية "وعالج في ذلك نفسه أياما"[74] ولم ينجح. وهنا أيضا وعلى نفس منوال المقطوعة الأولى نلاحظ غياب العامل المساعد، ليفتح المجال لاستمرار السرد وتجسد ذلك في المحكي المتضمن.

ويمكن تلخيص هذه المعطيات عبر الرسم التالي:

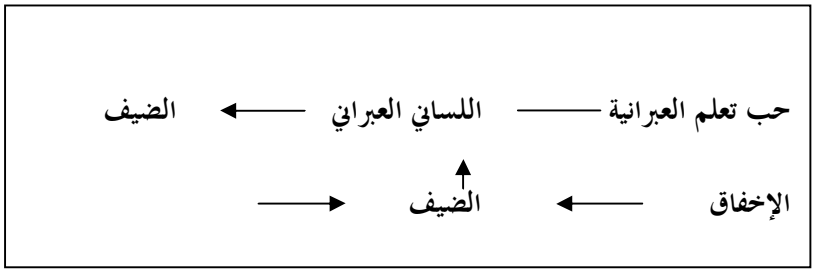

الترسيمة العاملية لمقطوعة" رغبة التعلم ".

كما يجب الإشارة إلى إمكانية تقديم نموذج عاملي خاص بالمحكي المتضمن حيث نجد علاقة رغبة قد تشكلت بين الغراب ومشية الحجلة" زعموا أن غرابا رأى حجلة تدرج وتمشي، فأعجبته مشيتها،وطمع أن يتعلمها"(المرجع نفسه،ص) فقد عمل الغراب على تعلم مشية الحجلة، أي أن الذات (الغراب) في حالة انفصال عن موضوع القيمة (مشية الحجلة) ولهذا ستعمل الذات كل ما في وسعها على الاتصال بموضوع القيمة، وفق محور الرغبة الذي يجمعهما ، وقد وجدت هذه العلاقة كنتيجة لعلاقة التبليغ التي أنتجتها الرسالة المبثوثة من طرف العامل- المرسل (حب التعلم) التي أقنعت العامل-المرسل (الغراب)بضرورة الحصول على موضوع القيمة؛ فحب التعلم أقنع الغراب بضرورة قبول مهمة تعلم مشية الحجلة. وحتى يتم كل هذا نجد بعض العوامل المساعدة وقفت سندا للغراب في إتمام مهمته فهو طائر مثله مثل الحجلة فله المقدرة على أن ينجز ما ينجزه مثيله (الحجلة). فباشر ذلك التحري بترويض النفس على ذلك"فراض على ذلك نفسه"[75]..

كما توجد عوامل معارضة،كصعوبة المهمة مما نتج عنه اختلاط الأمر على الغراب بين مشيته الأولى والمشية الجديدة"فإذا هو قد اختلط وتخلع في مشيته، وصار أقبح الطير مشيا"[76].

وفي نهاية المطاف لم يتم إنجاز المهمة وأخفق الغراب في إنجاز المهمة"فلم يقدر على، إحكامها، وأيس منها"[77].

وبناء على هذه المعطيات السابقة يمكن تقديم الرسم التالي:

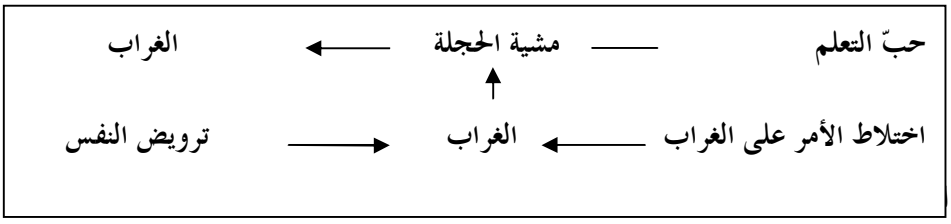

بعد هذا التحليل للمحكي- المدونة "الناسك والضيف" الموجود ضمن كتاب "كليلة ودمنة" يمكن ذكر بعض المميزات الخاصة بهذا المحكي لاحظنا أن غياب المساعد في المقطوعة الأولى فتح المجال لتوقيف سرد أحداث المقطوعة الأولى وتأجيل وتعليق إعطاء نهاية لهذه المقطوعة وبذلك يكون ذلك بوابة لدخول عالم أحداث المقطوعة الثانية ونجد إعادة الظاهرة نفسها على مستوى المقطوعة الثانية قد فاتح المجال لاستمرار السرد مرة أخرى، لنحال مباشرة على أحداث القصة المتضمنة وعلى مستوى هذه المقطوعة تكون كل عناصر النموذج العاملي حاضرة ورغم ذلك كانت النتيجة عدم حصول العامل–الذات على موضوع القيمة والذي يمكن ترجمته بالفشل على مستوى سرد الأحداث؛ والذي يمكن مقابلته بالحكمة التي جاءت في نهاية المحكي"...إنه قد قيل: إنه يعد جاهلا من تكلف من الأمور ما لا يشاكله، وليس من عمله ولم يؤدبه عليه آباؤه وأجداده من قبل."[78] وعليه يمكن القول أنه ليس من الضروري أن يكون الجانب النظري حاضرا برمته أو حاضرا أصلا في كل المحكيات التي يمكن معالجتها بتلك الإجراءات الغربية التي يقال عنها "المنهج..." فكل محكي له خصائصه الخاصة به التي تخضع للتقطيعات الثقافية الخاصة بكل جماعة معينة من بني البشر، وذلك المنهج هو وليد فكر وثقافة خاصة لا يمكن أن تكون عامة وشاملة وكونية.

و بعد هذا التحليل لمختلف المقطوعات المقترحة يمكن تقديم النموذج العام للمحكي من خلال الشكل التالي:

شهوة نفسية ← طلب المستحيل ← الجاهل

-المعرفة ← الجاهل ← الجهل و عدم المعرفة –استحالة تنفيذ الشيء

الترسيمة العاملية العامة.

و يمكن قراءة هذا الشكل على النحو التالي:

توجد قوى نفسية أو مادية قد تتجسد في إغراءات نفسية(المرسل)، تريد الحصول على شيء ما، فتعمل على إرسال رسالة إلى الجاهل (مرسل إليه) تطلب منه قبول مهمة الحصول على ذلك الشيء (الموضوع) ويتجسد هنا في طلب المستحيل وبذلك تتشكل علاقة رغبة بين الذات (الجاهل) وموضوع القيمة (طلب المستحيل) وهنا نلاحظ أن الفعل المنجز ينفذه المرسل إليه (الجاهل)الذي إندمج في الذات (الجاهل) فهو الذات المنفذة والعامل المرسل إليه في الوقت ذاته. وأثناء هذا البحث تمتلك الذات مؤيدين (العامل المساعد) تجسدوا في الجهل وعدم المعرفة ...الذين وقفوا إلى جانب الذات في تحريها حتى تحصل على الشيء الذي يستحيل تنفيذه (موضوع القيمة) ويعارض الذات في تحريها على موضوع القيمة المعرفة واستحالة القيام بتنفيذ ذلك الشيء (المعارضون).

يمكن أن نستنتج أنّ هناك إمكانية تحليل النص من منطلق تركيبي بعيدا على كل استثمار إيديولوجي سابق للتحليل؛ فهنا الجهل وعدم المعرفة يتحولان إلى عوامل تركيبية مساعدة والمعرفة تتحول إلى عامل معارض بعيدا عن كل استثمار إيديولوجي مسبق، وهنا يمكن أن نقول تلك المقولة المشهورة "القناعة كنز لا يفنى" .

خاتمة:

احتلت الشخصية أهمية خاصة في البحوث والدراسات منذ أرسطو إلى العصر الحديث، بوصفها عنصرا مركزيا في أي عمل فني، وقد تناولتها بالدراسة مجموعة من الحقول المعرفية المختلفة، وكان مفهومها مرتبطا بالحقل الذي تنتمي إليه، كما أن ثمة دلالة مشتركة بين مجموعة من الحقول والمدارس المختلفة التي تناولتها بالدراسة. وقد مرّ مفهوم الشخصية في العصر الحديث بتطورات مختلفة حتى في الحقل الواحد تبعا لتطور المناهج الحديثة. وعملنا هنا على عرض مفهوم الشخصية في حقل السيميائيات السردية، أو ما أصبح يعرف بالعامل من المنظور السيميائي البنوي. وتوقفنا بالتمحيص فيه عند أحد مبدعي هذا الرافد المتجسدة في مدرسة باريس وبالخصوص عند مبدعه غريماس، أي قدمنا مفهوم الشخصية عنده أو بالأحرى معوضاتها وخاصة كما تجلت في كتاب" علم الدلالة البنوي". وبذلك تم زحزحة المقاربة التقليدية للشخصية من الكينونة إلى

الفعل(de l'être au faire) أي تم الانتقال في دراسة الشخصية من مميزاتها إلى وظائفها أي تم المرور من المستوى الوصفي(فالأوصاف عادة ما تتعلق بالكينونة) إلى المستوى السردي(أي الوظيفة) أي من" الكينونة" إلى" الفعل" وفي هذا المستوى يدرس العامل بوصفه وحدة سردية تركيبية. وعليه اقترح غريماس خلال سنوات الستينات من القرن الماضي في كتابه علم الدلالة البنوي ((1966)، (174-185، 192-212)) نموذجا عامليا يسمح بتحليل كل فعل(action) واقعي أو خيالي إلى ستة مواقع تدعى عوامل. وهو في حقيقة الأمر بناء تركيبي يتعلق بالنموذج اللساني للتركيب البنوي عند (تينيار)، هدفه الأساس هو توضيح الفعل الدرامي في علاقته بمختلف وسائطه، بطريقة بسيطة جدا ومباشرة، كما يرتبط أيضا بتحاليل الحكايات الشعبية الروسية (بروب(Propp))، والمسرح(إيتيان سوريو) فبعد أن قام باستقراء هذه النماذج المختلفة أسس غريماس نموذجا منطقيا ذي علاقات أساسية مؤطرة من ستة عوامل مصنفة بحسب ثلاثة محاور أساسية(علاقات):

محور الاتصال(كيفية المعرفة modalité du savoir): مرسل ← مرسل إليه.

محور الرغبة(كيفية الإرادة modalité du vouloir): الذات ← الموضوع.

محور المشاركة(كيفية القدرةmodalité du pouvoir): مساعد ← معارض.

و قد أصبح يستعمل في تحليل المحكيات على مختلف أنواعها الطويلة منها (الرواية ...) والقصيرة أيضا(الحكايات الشعبية) وهو المحضن الأول في ظهور هذا النوع من الممارسات التطبيقية.و قد حاولنا أن نطبق هذا المقترح النظري على مدونة عربية للوقوف على مدى نجاعة هذا الطرح النظري.

الإحالات

1-Greimas A J , Sémantique Structurale, larousse, 2eme édition, Paris , 1969, p 122.

[2]- يعطى اسم العامل إلى الذي يقوم بالفعل(action) المعين من خلال الفعل(verbe) غير المتعدي أو للمجموع الفعلي (verbale) المشكل منا لفعل (verbe)وموضوعه (المتعدي) يعني أن يجيب عن السؤال الضمني ماذا يفعل س؟ ف "س" هو العامل أو الفاعل(agent) للفعل (action) هذا مفهوم العامل في النحو

الفرنسي الذي يقابله في النحو العربي بأن العامل هو اللفظ الذي يتصوّر سبويه أنّه يؤثر في لفظ آخر(...) فالعامل مفهوم ذهني لتفسير ظاهرة لغوية هي علاقة كلمة بكلمة داخل الجملة . في هذه العلاقة تم تصنيف الكلمات إلى عوامل ومعمولات ، أو متاثرات . وعلى ذلك حين وجد سبويه بعض الكلمات منصوبة أو مرفوعة دون وجود عامل ظاهر في السياق، كان لابد لهم، افتراض عامل محذوف أو مضمر كما في أساليب النداء والقسم...

[3]- الأدوار العاملية مرتبطة بالمسارات السردية بوصفها تسلسلا منطقيا.

[4]- الأدوار الموضوعاتية متعلقة بما يقدمه التمظهر الخطابي من موضوع (théme) مستقل وقائم بذاته.

[5] -Greimas A J , Sémantique Structurale, p 172.

[6] -Ibid ,p,172

[7] -Ibid ,p,172.

[8]- ابن مالك رشيد، مقدمة في السميائية السردية، دار القصبة للنشر، ط1.الجزائر ، 2000 ، ص17.

[9]- كديك جمال ، السيميائية السردية، أعمال ملتقى السيميائية والنص الأدبي، جامعة باجي مختار، عنابة، ماي95، ص284.

[10]- ابن مالك رشيد، مقدمة في السيميائية السردية ، ص17.

11 - A. Greimas, sémantique structurale, p .130.
12- Ibid , p. 130.
13- Ibid , p.173.
14- GaudreaultRemain, Renouvellement du Schéma Actantiel, poétique, N°: 107,p. 356.
15- GaudreaultRemain, Renouvellement du Schéma Actantiel , p . 356.
16- GreimasA J, Sémantique Structurale, p . 130.

[17]-الذي تبناه كما هو عند تينيار.

[18]-يرى J. M. Adam ج.م.آدم أن منبع هذه الفكرة لـــ(ف. بروب(V. propp) ودوائر الفعل.

[19]-Ibid , p. 130.

[20]-Ibid , p.184.

[21]-سنلاحظ أن العلاقة ستصبح علاقة رغبة بعد ادخال جرد سوريو وبروب.

[22]-فرضية نموذج عاملي متصور كأحد المبادئ الممكنة لتنظيم العوالم الدلالية الهامة حتى يمكن تناوله في كليته، كعالم مصغر يمكن للإنسان أن يدخله.

[23]-Ibid, p, 174.

[24]-يعني تجمعات الوظائف.

[25]-Ibid,p , 174.
[26]- Christiane Achour et SimioneRezzoug, Convergences Critique, o.p.u, Alger, 1995, pp58, 59.
[27]-Ibid, p58, 59.
[28]- A. Greimas, Sémantique Structurale, p , 175.
[29]-Ibid, p175.
[30]- الذي نظم عام 1950 مقاربته في مائتي ألف حالة درامية حيث يقيم جدول لستة أدوار يجعل منها منطلقا لاستحداث كل الحالات الدرامية الممكنة.(J.M.A 97.p57) النتائج المتوصل إليها من خلال جرد ف.بروب(Propp)والنتائج المتحصل عليها من النموذج اللساني.
[31]- Ibid , p175.
[32]-Ibid, p 134.
[33]- Ibid , p 178 , 179.
[34]- Ibid , p 179.
[35]-Ibid, p 176.
[36]-من خلال استكشاف العلاقة الممكنة بين الذات والموضوع التي تمثلت في علاقة الرغبة ، من خلال عملية تحري الذات في مكان الموضوع فهذه العلاقة لا توضح الأفعال المنجزة في مكان الموضوع بل تعين على الأقل علاقة ممكنة بين الذات والموضوع هي الرغبة (ريمان غيدرو ص356)

إذن يمكن جمع أب الشخص المرغوب فيه بالمرسل(mandateur)ويعتبران ممثلين للعامل نفسه عندما يظهران منفصلين . بينما يظهر الاندماج الكلي لمجال فعل المرسل إليه في الحكايات الشعبية الروسية مع حقل الذات ـــ البطلة.

[37]-Ibid , p177.
[38]- Greimas A J, Sémantique Structurale, p , 177,178.
[39]- Ibid , p 178 , 179.
[40]-Ibid, p, 179.
[41]- Ibid , p180.
[42]-نلاحظ إمكانية تطابق المرسل و الذات في عامل واحد .
[43]-Greimas , du sens II , Essais Sémiotiques , édition Du Seuil, Paris, 1983. p 23.
[44]-Gaudreault R , renouvellement du Schéma Actantiel .p358 , 359.
[45]- Greimas ,DuSensII , p.31.
[46]-Greimas ,DuSensII , p.3121ص ،(أو ينظر: ابن مالك رشيد ، مقدمة في السيميائية السردية
[47]-Greimas, du Sens II ,p. 19.
[48]-Ibid, p 24.
[49]-Ibid, p19.
[50]-Ibid, p19.

[51]- Greimas et Courtes, Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du language, Ed Hachette, Paris, 1993, p94.

[52]-العجيمي محمد الناصر ، في الخطاب السردي (في نظرية غريماص)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1993، ص43.

[53]-Greimas , du Sens II , p 44.

[54]-Greimas et Courtes , Dictionnaire raisonné de la théorie du langage , p 95.

[55]-Ibid , p 244.

[56]-Gaudreault R , renouvellement du Schéma Actantiel, p 362.

[57]-Greimas et Courtes , Dictionnaire raisonné de la théorie du langage ,p 95.

[58]-العجيمي محمد الناصر ، في الخطاب السردي ،ص44.

[59]-Gaudreault R , renouvellement du Schéma Actantiel ,p 362.

[60]- Greimas , Du Sens II , p 56.

[61]-Greimas et Courtes, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, p10.

[62]-Ibid, p 262.

[63]-Gaudreault R, renouvellement du Schéma Actantiel, p 361.

[64]-Ibid, p 361.

[65]- عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ط 17، 1937، ص299-300.

[66]- المرجع نفسه،ص،299.

[67]- المرجع نفسه،ص،300.

[68]- المرجع السابق،ص،299.

[69]- المرجع نفسه،ص،299.

[70]- المرجع نفسه،ص،299.

[71]- المرجع نفسه،ص،299.

[72]- المرجع نفسه،ص،299.

[73]- المرجع نفسه،ص،299.

[74]- المرجع السابق،ص،300.

[75]- المرجع نفسه،ص،299.

[76]- المرجع نفسه،ص،299.

[77]- المرجع نفسه،ص،299.

[78]- المرجع السابق،ص،299.

تاريخ الإيداع:**2015/11/25** تاريخ القبول:**2016/04/17**